# ابولون والشعر الحيّ

بقلم الدكتور على العنانى

— ١ —

١ — فى عالم الشعر اختلاف كثيرٌ فى الخيال والتفكير ، وفى بيئات الشعراء تغاير وفير فى الحظوظ والجدود .

الدكتور على العنانى

فمن الشعر ما هو غنائى فى المدح والهجاء والوصف والحماسة والفخر والنسيب ، ومنه ماهو قصصى ينتزع من الخيال والطبيعة أو من الحوادث والوقائع أو من مزيج منها قصة واحدة أو مجموعة أقصاصيص يذيعها ويرويها .

ومن الشعر ايضاً ما هو تمثيلى يستعيد الماضى ويبرزه فى صورة الحاضر متمثلاً

فى ذلك المكان والأشخاص والحوادث والمفاجآت .

ومنه ما هو حكيم يكشف عن اسرار الطبيعة ويحل الالغاز الكونية ويحدّ الفضيلة أو يبين مكارم الاخلاق ، يهذب النفوس ويضع نواميس الاجتماع .

أما الشعراء فمنهم المعدم المستجدى الذى يعيش من التكسب بشعره ، تفرحه الهدية وتنعشه الجائزة ، وتفرج كربته فسحة الأمل ، فهو معدم آمل .

ومنهم المعدم اليائس الذى لاتندى له راحة انسان ، ولايلين له قلب رحيم،فهو بائس يائس ، مطمور فى عيشه وحياته مهما غرد بشعره وخياله .

ومن الشعراء من أثرى بشعره وصار به أميراً ، أوكان من أجله وزيراً ، تقلد بفضله الوزارتين ، وجمع بسلطانه بين الرياستين .

ومن الشعراء أيضاً من سما فوق كل ذلك : فلا يؤلمه بؤس ، ولا يفرحه ثراء ، ولا ينتابه يأس ، ولا يعزيه أمل ، بل هو السعيد بنفسه وبخياله وشعره . له الدنيا وما فيها وهو يزهدها ، وله الاشراف على الملك والملكوت والتجول بين عالمى الشهادة والغيب . رغباته فى الملأ الأعلى قائمة ، وشهواته فى عالم المادة متلاشية . لا تراه يزهو ويلهو ، ولا تبصره ييأس ويئن ، تتغير الأحوال والأوضاع وهو على صورة واحدة ونمط مستقر لا تغير ولا اضطراب فيه .

ولماذا هذه الاختلافات فى عالم الشعر ؟ وأى نوع منه هو الحى وأى صنف هو الحكيم ؟

ولماذا هذه المتناقضات فى الشعراء ؟ وأيهم أفضل ؟ وأيهم أهدى ؟ وأيهم أجدى؟

* **

٢ — جواب هذا كله عند أبولون إله الصنائع والفنون . فهل من رحلة إليه ؟ وهل من نقلة الى رحابه لنستلهم منه السر فى ذلك ونستوحيه جلية الأمر ؟ نعم لا بد من هذه الرحلة ! ولا بد من رؤية الإله العظيم الفنان ! فهيا بنا اليه !

هيا بنا إلى معبده فى ديلفى !

هيا بنا إلى عرشه وسط عروش الآلهة على قمة الاولمب !

هيا بنا إليه فى معبده ! وعلى عرشه ! وفى أى مكان آخر يحوم فوقه ويرفرف عليه !

٣ — وبينا أنا على أهبة السياحة فى أثير الخيال باحثاً عن الشعر والخيال فى رحابه الأعلى وأفقه الأسمى إذا بى قد فاجأتنى ضجة جذبتنى اليها ! فاستجليتها فاذا بها مشادة عنيفة بين شاعرين قد احتكما اخيراً الى ثالث سوّى ما كان بينهما من خلاف !

امتعنى حديث هؤلاء الشعراء الثلاثة واستهوانى الى متابعة سماعه وارجاء الرحلة إلى أپولون إلى وقت آخر وفرصة قريبة .

أما الشاعران المتجادلان فاحدهما مطبوع ولكنه بأس ، وثانيهما عبقرى غير أنه يأس . وشعر الأول حى ، ونظم الثانى طلى . فذكر كل واحد منهما لصاحبه ما هو فيه من بؤس وأمل أو بؤس ويأس . فاجتمعت كلمتهما على العُدم والبؤس والفاقة والفقر فى كل شىء إلا فى الخيال الشعرى ،فهو عندهما خصب وهما ملكاه والقابضان على صولجانه . والقائمان على ثرواته وكنوزه . واختلفا فى أمر اليأس يظهره الشاعر العبقرى ويستنكره صاحب الشعر الحى ، واشتدت الخصومة بينهما فى ذلك وقوى اللدد .

وبينما هما فى نزاع وتنافر وتنابذ تناحر إذا بشاعر حكيم قد مرّ بهما مستغرقاً فى عالم الخيال الحكيم لايشعر لهما بوجود ولا يدرك منهما اثراً لنزاع أو ضجيج . فاستوقفاه وكانا يعرفانه من قبل وأحسب أنه ابوشادى واحتكما اليه وقص كل واحد منهما عليه قصته فقال للعبقرى :

أيها الشاعر العبقرى إن وحى خيالك الشعرى ينزله عليك شيطان من شياطين عبقر ، يلهمك به ضروب الشعر واساليبه وأخيلته وفنونه ، وهو فى ذلك يهدى ويضل ويرشد ويغرر ، فيجود شعرك تبعاً لذلك ويضعف،فتسعد بذلك وتشقى . واذا كنت مع هذا معدماً فربما ألقى شيطانك فى قلبك اليأس . وبئس البؤس مع اليأس !

وأما أنت أيها الشاعر المطبوع فانك تستلهم صور الشعر وخياله من وحى إله صناع فنان يلهم الصنائع والفنون من أپولون سلالة الآلهة أهل الطراز الأول وصاحب المكانة الرفيعة بين آلهة الأولمب . والسعيد فى فنه وفى الهامه اذا ألهم أو أوحى فانه يلهم الحياة والسعادة ويوحى بمكنونات الكون واسرار الوجود ، فيكتسب عنه الأسرار ويحل الالغاز ويهدى الى الحقيقة وقوة الحياة فى صورة الخيال . فأنت أيها الشاعر المطبوع لا تنطق إلا بالشعر الحى المعبر بالهام من أپولون عن معنى الحياة فى الوجود العام بأسره ، فأنت شاعر حى وأنت شاعر مطبوع

أپولّون ( إله الشعر ) يصلح وتراً موسيقياً لكيوبيد
(إله الحب)

وانك وإن كنتَ يائساً فأنت سعيد بحياتك وبنظرك الى الحياة ، كلك أمل وكلك رجاء . لايتطرق اليأس من أية ناحية اليك إذ لا يأس مع الحياة .

٤ — وبعد هذه الكلمة الحكيمة التى قد وقعتْ بين المتخاصمين وأعادت اليهما السكينة قال الشاعران لصاحبهما الشاعر الحكيم :

ومن أنت أيها الشاعر الحكيم ؟ وهل أنت غنى وسعيد ؟ أم أنت معدم وفقير ؟ أم بائس يائس ؟ فأجابهما قائلا :

نعم ، أنا شاعر حكيم . أعرف الفقر ولا أدرك له أثراً فى نفسى ، وأتميز الثراء ولا أطلبه ، وأشرف على الشقاء وآثاره وأنا بعيدٌ عنه ، وأنظر إلى الشر ووقعه وهو لايدرك إلىَّ سبيلاً .

فقالا له : وكيف كان ذلك ؟

فقال : زعموا أن البارى حين خلق خليقته وأوجد الانسان على سطح البسيطة قسم المعمورة منها على افراده ، فأخذ كل واحد بنصيبه تبع حظه وبقى الشاعر الحكيم بلا نصيب مطلقاً . وكان كلما تجول فى المعمور وجده مملوكاً ، وكلما مرَّ بقوم ضنوا عليه بمأوى يأوى اليه عندهم ، فلم يبق له الا الجبال والدهناء وسطح الماء ، غير انه لم يقو على الالتجاء اليها والاقامة فيها ، فذهب الى ربه وشكا اليه ما حل به من تركه منبوذاً عن هذا التراث المادى العظيم .

فقال له البارى : وأين كنت حين التقسيم ؟ قال الشاعر الحكيم : كنتُ يا مولاى مستغرقاً فى جمالك وجلالك وعزتك وعظمتك وقدرتك وحكمتك وبديع خلقك وانسجام خليقتك ، باحثاً عن كنهك محض الخير وعن سبب خلقك ما خلقت وعن السر فيه ! فقال له الرب : وهل الأرض وكل ما فيها من نعم وخيرات أحبُّ اليك من استغراقك فى جلالى وابداعى ؟ دع الأرض وما فيها واركن الى رحابى يعظم شأنك وتسعد سعادة كلية تكون بها فوق كل مؤثرات السوء والشر . فقال الشاعر الحكيم : رضيت يا مولاى ولا أفكر الا فى هذا الملأ السعيد فى رحابك الأسمى ومنه أنظم للناس شعرى لعلهم به يهتدون .

***

٥ — ومهما يكن من أمر هذه القصة وما تشتمل عليه من ايضاح فى الموضوع فاننا لازلنا على عزمنا فى أمر الرحلة الى إله الشعر أبولون ، وسنحدثك عنه وعن آثاره فى مقالنا الآتى وموعدنا به قريبٌ .